الحيــاء

مـن مـكـارم الأخـلاق

تاليف

أحـمـد أحـمـد جـاد

المدائن

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع
٢٠٠٢/١٥٠٧١

دار المدائن للنشر والتوزيع
العجمى : البيطاش - مدينة الأندلس والحجاز - عمارة ١٤
سموحة :٢٧ ش محمود داود - عمارة الجمارك - الدور الثانى
الاسكندرية - تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

المقدمة

الحمدلله رب العالمين ، الذى أنزل الكتاب هدى ورحمة للمؤمنين ، والصلاه والسلام على إمام المتقين ، الموصوف بالخلق العظيم ، والذى بعث ليتمم مكارم الأخلاق .. وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن أهتدى بهديهم إلى يوم الدين.. وبعد ،

فإن الحياء خلق فاضل ملازم للإيمان .. يحتاجة المسلمون فى كل زمان ، وخاصة فى هذا الزمان المملوء بالفتن والأفكار الغريبة والتصورات الماجنة والغزو الفكرى..

إن الحياء خلق كريم يضيع بين كثير من المسلمين ، نريد أن نتذاكره ونتدارسه ونعيده إلى حياتنا العملية .. وندعوا إليه ، ونتعامل على أساسه ، فهو الدين ، والدين المعاملة ..

قيل لرسول الله ﷺ :الحياء من الدين ؟
فقال : " بل الدين كله " الطبراني .

وسنتكلم عن الحياء في أبواب ثلاثة . .
الأول : في مفاهيم حول الحياء .
والثاني : في الاستحياء من الله .
والثالث : في الحياء في أخلاق الناس .

ونسأله تعالى أن ينفع به ويكون خالصا لوجهه الكريم وأن يكون في الميزان . . والسلام .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين .

الإسكندرية في
شهر الله المحرم ١٤٢٣هـ
إبريل ٢٠٠٢م

المؤلف
أحمد أحمد جاد

الباب الاول

مفاهيم حول الحياء

(١) الحياء والخجل :

معنى الحياء :

قال في القاموس : حيي منه حياء ، واستحيا منه ، واستحى منه ، واستحياه وهو حيي :كغني : ذو حياء .

واستحى بياء واحدة لغة تميم ، وبياءين لغة أهل الحجاز وهو الأصل . وإنما حذفوا الياء لكثرة استعمالهم لهذه الكلمة .

وفي قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلاً** ﴾ يستحيي أصله أن عينه ولامه حرفا علة . واسم الفاعل : مستحي والجمع مستحيون ، وفي قراءة : يستحي بكسر الحاء وياء واحدة ساكنة واسم الفاعل مستح والجمع

مستحون .

والحياء من الحياة ومنه الحيا وهوالمطر .

قال ابن القيم :وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خلق الحياء ، وقلة الحياء من موت القلب والروح .

معنى الخجل :

قال فى القاموس : خجل :كفرح : استحيا ودهش وبقى ساكتا لا يتكلم ولا يتحرك .

والخجل : أن يلتبس الأمر على الرجل فلا يدرى كيف المخرج منه .

وقيل الخجل التحير والدهش من الاستحياء .

قال الراغب : وأما الخجل فحيرة النفس لفرط الحياء ويحمد في النساء ويذم باتفاق من الرجال . .

والخجل جزء من الحياء ، تلمسه فى الأطفال حيث يدعوهم إلى الانكماش والانطواء إذا رأوا

شخصا غريبا عنهم ، أوكانوا فى زيارة إلى أسرة أخرى لم يعرفوها .

ويمكن تدريبهم على الجرأة فى الحق بالتدريج ، وذلك بمصاحبة الآباء إلى المجالس العامة والتعود على محادثة الكبار فى حدود الأدب والحشمة .

وقد عرّف العلماء الحياء بتعريفات نختار منها . .

١ـ قال القرطبى : أصل الاستحياء : الانقباض عن الشئ والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح .

وهذا التعريف يعنى الامتناع عن شئ قد يكون مباحا خوفا من مواقعة القبيح كما سنرى .

٢ـ وقال فى فتح القدير : الحياء تغير وانكسار يعترى الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم ، كذا فى الكشاف، وتبعه الرازى فى مفاتيح الغيب .

وهذا التعريف يبرز حياء الإنسان وخوفه من

ارتكاب القبيح ، فالحياء يعترى الإنسان قبل أن يقترب من القبيح ..

وهو يقارب التعريف السابق ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾ ولم يقل ولا تزنوا .

(٣) وقال ابن رجب : الحياء يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها ، فهو من خصال الإيمان .

(٤) وقال الجنيد : الحياء رؤية الآلاء ، ورؤية التقصير ، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء . وحقيقته : خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط فى حق صاحب الحق .

انظر مختصر مدارج السالكين ، وفتح البارى : ١ / ٦٧ .

وهذا التعريف يبرز كيف يتولد الحياء فى الإنسان المؤمن ، وهذا يكون بالإحساس

بنعم الله التى لا تحصى ... مع عدم القدرة على مكافأة هذه النعم .. فمهما قدم الإنسان من عمل الشكر فهو مقصر ، ومن هنا يكون حياء الإنسان من ربه تعالى ..كما أن هذا الحياء لا يمنع صاحب الحق أن يطالب بحقه .. فإن الله تعالى لا يستحى من الحق.

(٥) وقال فى فتح البارى: هو انقباض النفس خشية ارتكاب ما يكره ..

(٢) الفرق بين الحياء والخجل :

١- قال النبى ﷺ : "الحياء خير كله " مسلم ..وقال أيضا: "الحياء لا يأتى إلا بخير " البخارى ومسلم .. فالحياء كله خير أما الخجل ففيه خير وشر وقد يحمد وقد يذم .

٢- الحياء لا يمنع صاحبه من قول الحق والمطالبة به بخلاف الخجل ، فقد يمنعه من ذلك.

٣- الحياء لا يجامل الباطل .
٤- الحياء عزة نفس وإباء والخجل فيه عجز ومهانة .
٥- الحياء تصدر عنه أعمال صالحة كما سنرى ، والخجل سكوت وانكماش ودهش .

وأنت ترى أنهما يشتركان فى أشياء ويختلفان فى أشياء أخرى . .

(٣) الحياء نوعان : غريزى ومكتسب .

فالغريزى : ما كان خلقا وجبلة غير مكتسب وهومن أجل الأخلاق التى يمنحها الله عبده .

والمكتسب هوالذى جعله الشارع من الإيمان وهومناط التكاليف دون الغريزى .

والغريزى يعين المكتسب ، وقد ينطبع الإنسان بالمكتسب حتى يصير غريزياً . .

والمكتسب يكون عن طريق معرفة الله وجلاله وإطلاعه وعلمه بالأسرار وبخائنة الأعين .

ومن الحياء الفطرى :حياء آدم وحواء ، فإنهما حينما أكلا من الشجرة المنهى عنها بدت لهما سوءاتهما ، فجعلا يقطعان من ورق الجنة ويلزقانه بعورتهما ليستراها ﴿ **فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ** ﴾ الأعراف : ٢٢ .

والمعروف أن الشيطان يوسوس لابن آدم لينزع عنه الحياء ليرتكب المعاصى . .

والحياء الفطرى : هبة من الله تعالى ، فإذا أضيف إليه الإيمان ، كان الحياء له خيراً كله . .

فقد قال النبى ﷺ للأشج العصرى : « إن فيك خلتين يحبهما الله عز وجل ، قلت ما هما ، قال : « الحلم والحياء » قلت أقديما كان فى أم حديثا ، قال : « بل قديما » قلت : الحمد لله الذى جبلنى على خلتين يحبهما » مسند أحمد :٤/ ٢٠٦:١٧٧٥٥ صحيح .

ومن المعلوم أن الفطرة الإنسانية تنفر من الخبائث وتسكن إلى الطيبات ..وهاك الرضيع يسكن ويميل إلى اللبن بالفطرة ، وينفر من أى خبيث ..

والطفل يميل بالفطرة إلى الإ يمان والخلق المستقيم ويتردد ويتلجلج فى الكذب .. والبيئة هى التى تعينه على الطريق المستقيم أو تفسده .. فما من مولود إلا ويولد على الفطرة...

(٤) الحياء والإيمان :

قال رسول الله ﷺ « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، والحياء شعبة من الإيمان »

وروى أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهويعظ أخاه فى الحياء « دعه فإن الحياء من الإيمان » .
البخارى ومسلم وغيرهما .

وقال ﷺ : « الحياء والإيمان قرنا جميعا ، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر » ابونعيم والبيهقى .

قال فى فتح البارى : الحياء من الغرائز فكيف جعل من الإيمان ؟ أجيب بأنه قد يكون غريزة وقد يكون تخلقا ، ولكن استعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية ، فهومن الإيمان لهذا ، ولكونه باعثا على فعل الطاعات وحاجزاً عن فعل المعصية .

وقال : الحياء شعبة ، أى أثر من آثار الإيمان .

وفى شرح الحديث الثانى يقول : يعظه : ينصحه . . ويبدو أن الرجل كان كثير الحياء ، وكان ذلك يمنعه من استيفاء حقوقه ، فعاتبه أخوه على ذلك ؛ فقال له النبى ﷺ :« دعه » أى اتركه على هذا الخلق السنى ، ثم زاده فى ذلك ترغيباً بقوله إنه من الإيمان . . وإنه سوف يؤجر على ذلك .

وقيل معناه : أن الحياء يمنع صاحبه من

ارتكاب المعاصى كما يمنع الإيمان . انتهى بتصرف .

إن الحياء من الإيمان ، والإيمان يلزمه قصد ونيه وإخلاص فالمؤمن الذى يستحى يقصد ثواب الله وما عند الله ، وأن يلتزم دعوة الخير ، يأتمر بما أمر الله ورسوله وينتهى عما حرمه الله ورسوله .

والإيمان بالله عز وجل هوعقيدة التوحيد التي دعا إليها كل نبى ﴿ **أن اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ وكذلك الحياء هودعوة الأنبياء .

والحياء قرين الإيمان ، إذا رفع الإيمان رفع الحياء والعكس صحيح . ولوفرض وبقى الحياء بعد رفع الإيمان ، فهو حياء بدون قصد التعبد لله تعالى وليس له عنده ثواب .

وإذا رفع الإيمان والحياء جميعا .. صار الإنسان شريرا كالشيطان الرجيم . .

(٥) الحياء والورع :

قال أحد الصالحين : تركت الذنوب حياء

أربعين سنة ثم أدركني الورع .. فالورع درجة عالية وخلق فاضل كالحياء ..

وقال بعض السلف : لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس .

وقال بعض الصحابة : كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام .

والورع درجات...

الأول : حفظ النفس وحمايتها عما يشينها ويعيبها ، فإن من كرمت عليه نفسه وكبرت عنده صانها وحماها وزكاها .. ومن هانت عليه نفسه وصغرت عنده ألقاها فى الرذائل ودساها ولم يصنها عن قبيح ..وكثرة القبائح تسود القلب وتطفىء نوره فيعمي ولا يبصر ﴿ **كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ المطففين :١٤ .

الثانية : حفظ حدود الله حتى لا يقع فى المعصية وقد نهى سبحانه عن تعدى ما أباح فقال

تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا ﴾ البقرة : ٢٢٩ .

ونهى عن قربان الحرام ، فقال تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا ﴾ البقرة : ١٨٧ .

فالله سبحانه لم ينه عن الحرام فقط بل نهى عن قربانه ومقدماته .

(٦) الحياء والمروءة :

جاءت أحاديث كثيرة فى المروءة وهى أخت الحياء .

قال النبى ﷺ : « ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت » الترمذى وابن ماجه .

وقال ﷺ « البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس » مسلم .

وروى عبد الرازق : قيل يا رسول الله ، ما أفضل ما أوتى الرجل المسلم ؟ قال « الخلق

الحسن » قال : فما شر ما أوتى الرجل المسلم ؟ قال : « إذا كرهت أن يرى عليك شئ فى نادى القوم فلا تفعله إذا خلوت » ابن حبان .

وفى الطبرانى من حديث أبى مالك الأشعرى . .قال قلت يا رسول الله ما تمام البر ؟ قال : « أن تعمل فى السر عمل العلانية » .

وقال أحد الصالحين : رأيت المعاصى قبائح فتركتها مروءة .

وقال بعض السلف : خلق الله الملائكة عقولا بلا شهوة وخلق البهائم شهوة بلا عقول ، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة ، فمن غلب عقله شهوته التحق بالملائكة ومن غلبت شهوته عقله التحق بالبهائم . . ولذلك قيل فى المروءة : إنها غلبة العقل على الشهوة . وقيل المروءة : استعمال كل خلق حسن واجتناب كل خلق قبيح .

وقال الفقهاء فى حدها :هى استعمال ما يجمل العبد ويزينه وترك ما يدنسه ويشينه

والمروءة درجات :

١- مروءة المرء مع نفسه : بأن يحملها على ما يجمل ويزين . .فلا يكشف عورته فى خلوته . . ولا يتجشأبصوت مزعج . .ولا يخرج الريح بصوت . .ولايجشع وينهم عند أكله وحده .

٢- مروءة مع الخلق :بأن يستعمل معهم شروط الأدب والحياء ، والخلق الجميل .

٣- مروءة مع الحق سبحانه : بالاستحياء من نظره إليك فى كل لحظة وإصلاح عيوب نفسك . . فيدفعك الحياء عن الاشتغال بعيوب غيرك . .

(٧) الحياء والوقار :

روى البخارى ومسلم عن عمران أن النبى ﷺ قال : « الحياء لا يأتى إلا بخير ، فقال

البشير لعمران : مكتوب فى الحكمة : إن من الحياء وقارا وإن من الحياء سكينة . . . » .

قال القرطبي : معنى كلام بشير أن من الحياء ما يحمل صاحبه على الوقار بأن يوقر غيره ويتوقر هو فى نفسه ، ومنه ما يحمله على أن يسكن عن كثير مما يتحرك الناس فيه من الأمور التى لا تليق بذى المروءة . . فتح :١٠/٥٣٨ .

(٨) الله حيى يحب الحياء :

سبق أن ذكرنا حديث النبى ﷺ للاشج العصرى حيث قال فيه « إن فيك لخصلتين يحبهما الله ، الحلم والحياء » .

وفى الحديث « إن الله عز وجل حليم حيى ستير يحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليستتر » ابوداود :٤٠١٢ .

حليم : لا يعجل بالعقوبة . حيى : كثير الحياء فلا يرد من سأله . ستير : تارك لحب

القبائح ساتر للعيوب والفضائح ، يحب الستر ، وهذا تعريض للعباد وحث لهم على تحرى الحياء.

ومن حيائه سبحانه وحبه للحياء أنه يستحى إذا لجأ إليه عبده بالدعاء أن يرده خائبا .

ففى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « إن الله حييٌ كريم يستحى إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين » الترمذى : ٣٥٥٦ .

قال ابن القيم : أما حياء الرب تعالى من عبده فذاك نوع لا تدركه الأفهام ، ولا تكيفه العقول فإنه حياء كرم وبر وجود وجلال . . .

وكان يحى ابن معاذ يقول : سبحان من يذنب عبده ويستحى هو.

وفى الأثر : من استحيا من الله استحيا الله منه . مدارج السالكين بتصرف .

(٩) الله لا يستحى من الحق :

ذكرنا فى تعريف الحياء ، أنه لا يمنع صاحب الحق أن يطالب بحقه .ذلك لأن الله لا يستحى من الحق ، فالحق هوالذى قامت به السموات والأرض ، والله هوالحق ، وقوله الحق ، والإسلام دين الحق ، وكل من يتكلم بما أنزل الله فهوحق .. لا يستحى من أن يقوله .

وقد درج المؤمنون على قول كلمة الحق لا يخشون فى الله لومة لائم ..ومن قول الحق السؤال فى العلم وعدم الاستحياء من التفقه فى الدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..

يقول تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا** . . . ﴾ البقرة : ٢٦ .

إن الله سبحانه ضرب الأمثال فى القرأن ..وقد أراد أعداء الله أن يشككوا المسلمين فى قرآنهم فقالوا :كيف يضرب الله الأمثال الصغيرة .. هذه الأمثال لا تصدر عن الله ،

وليس من كلامه ! فنزلت الآية . .

إن الله سبحانه هو خالق الصغيرة والكبيرة خالق البعوضة والفيل ، والمعجزة فى البعوضة هى المعجزة فى الفيل . . والمعجزة سر لا يعلمه إلا الله . . والأمثال للتنوير والتبصير . . وليس فى ضرب الأمثال ما يستحى منه . . وهى ابتلاء وامتحان لقلوب عباده ، فأما المؤمنون ﴿ **فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ** ﴾ يؤمنون أنه كلام الرحمن وأنه من عند الله ويؤمنون بالأمثال صغيرها وكبيرها . . ومن هنا يهديهم الله بها .

قال بعض السلف : إذا سمعت المثل فى القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسى لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ** ﴾ العنكبوت : ٤٣ .

ولا حياء من العلم والتفقه فى الدين ، فقد سألت امرأة النبى ﷺ عن غُسل المحيض فأرشدها ثم سألت عن غُسل الجنابة فبين لها . . فقالت

عائشة : « نعم النساء نساء الأنصار ،لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين » مسلم :٣٣٢ .

وفى موضع آخر سأل أبو موسى عائشة رضى الله عنها فقال: يا أم المؤمنين إنى أريد أن أسألك عن شئ وإنى استحييك ، فقالت : لا تستحى أن تسألنى عما كنت سائلا عنه أمك التى ولدتك ، فإنما أنا أمك ، قلت فما يوجب الغسل ؟ قالت : على الخبير سقطت ، قال رسول الله ﷺ : «إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان، فقد وجب الغسل » مسلم :٣٤٩ .

وجاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن الله لا يستحى من الحق ، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت ؟ قال النبى ﷺ : إذا رأت الماء ، فغطت أم سليم- يعنى وجهها - وقالت يا رسول الله ، وتحتلم المرأة ؟ قال : نعم تربت يمينك ، ففيم يشبهها الولد؟» البخارى :١٣٠ .

وسأل رجل سلمان قال : قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة .. فقال : أجل ، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول أو أن نستنجي باليمين أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار أو أن نستنجي برجيع أو بعظم .. مسلم :٢٦٢ .

الخراءة : اسم لهيئة الحدث ، وأما نفس الحدث فبحذف التاء التى فى آخر الكلمة وبالمد مع فتح الخاء وكسرها ..

والغائط : عبارة عن الخارج من دبر الآدمى ..

والرجيع : الروث والعذرة .. لأنه يرجع عن حاله الأولى بعد أن كان طعاما أوعلفاً .

ونتأمل كيف كان النبى ﷺ يعلم أصحابه فى مسائل دقيقة حساسة ، لأن التفقه فى الدين ضرورة لابد منها فى حياة الناس ..وكذلك السؤال فى العلم » . قال مجاهد : لا يتعلم العلم مستحى ولا مستكبر .

الباب الثانى

الاستحياء من الله تعالى

(١) لماذا الاستحياء من الله تعالى ؟

الحياء من الله تعالى له أسباب كثيرة منها :

١ – أن الله سبحانه هو الذى خلقك يعلم ما فى نفسك .. ظاهرك وباطنك .. سرك وعلانيتك ، ناظر إليك ، سامع لقولك ، مطلع على عملك ، فى كل لحظة وفى كل نفس وكل طرفة عين ، يسجل عليك كل خطوة وكل حركة أو سكنة ..إنه يراك ويراقبك .

قال تعالى : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ** ﴾ البقرة : ٢٣٥ .

وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ النساء: ١ . وقال تعالى : ﴿ **وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ** ﴾ الحديد : ٤ .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ** ﴾ ق: ١٦ .

٢- أن الله سبحانه هو الذى صنعك ووضع لك المنهج الذى يأمرك بكل خير وينهاك عن كل قبيح ، والذى يصلحك ويصلح الآخرين .. هذا المنهج يحقق لك إنسانيتك ويرفعك من الحيوانية إلى الملائكية ، فإذا سرت عليه كنت حييا مطيعا لله ملتزما حدوده متصفاً بالأخلاق الفاضلة ، وإلا انعدم الحياء وسرت حسب شهواتك الحيوانية .

٣- أن الله سبحانه وهبك نعماً كثيرة .. وكرمك على كثير من خلقه .. فالذين آمنوا واستحيوا من الله تعالى ، استخدموا هذه النعم فى طاعة الله .. وشكروه وذكروه ، والذين لم يستحيوا من الله استعملوها فى معاصيه ! وهؤلاء هم شياطين الإنس والجن ..

٤ – أن الحياء خلق الأنبياء والمرسلين منذ آدم إلى خاتم النبيين .

٥ – أن الإسلام دعا إلى خلق الحياء وأمر به وحبب إليه .

(٢) الاستحياء من الله حق الحياء :

ليس الحياء من الله تعالى هو مجرد عمل سلبى ، وإنما الحياء أعمال تتمثل فى أداء ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه . . أعمال بقصد الخشية من الله تعالى ومراقبته والعمل ليوم الحساب . . ولو أيقن الناس بيوم الحساب وعرض الأعمال لفعلوا الخيرات وبعدوا عن السيئات .

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « استحيوا من الله حق الحياء ، قال : قلنا يا رسول الله ، إنا نستحى والحمد لله ، قال : ليس ذاك ، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء ، أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما

حـوى ولتـذكـر الموت والبلى ، ومن أراد الآخـرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » . الترمذى :٢٤٥٨ وأحمد : ١/ ٣٨٧ .

وهذا الحديث يحث على حفظ أخطر وأهم الملكات والنعم التى وهبها الله الإنسان من أن تعمل شيئا حرمه الله تعالى استحياء من الله .. و تتمثل فى الآتى ..

١- حفظ الرأس وما وعى :

من ذلك حفظ العقل واللسان والبصر والأذن

أ- حفظ العقل ..

وحفظ العقل من الضرورات التى تحقق مصالح الإنسان ، وقد شرع الله تعالى كل ما يكفل للإنسان حفظ عقله وسلامته .. وحرم كل ما يفسده كالمخدرات والمسكرات ..

كما شرع عقوبة زاجرة لشارب الخمر ، حتى يصون العقول من العبث ..

ومن حفظ العقل ، الحرص على التفكير السليم وتأمينه ضد الغزو الفكرى والأفكار الهدامة والشبهات التى يلقيها شياطين الإنس و الجن ليلاً ونهاراً ، والتمسك بالكتاب والسنة النبوية التى لا تنطق عن الهوى .

والعقل مناط التكليف .. قال تعالى ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [الملك : ١٠] .

وقال النبى ﷺ : « رفع القلم عن ثلاثة . عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل » أبو داود وغيره .

ب - حفظ اللسان ..

اللسان موطن الخطر ، فكل كلمة مسجله عليك تحاسب عليها .. قال تعالى : ﴿ **مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ [ق : ١٨] .

وفى الحديث عن معاذ بن جبل « .. ألا

أدلك بملاك الأمر كله ؟ قلت : بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه ثم قال : كف عليك هذا . قلت يا نبى الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » احمد والترمذى وغيرهما .

وهذا يدل على أن كف اللسان وضبطه وحبسه عن القول السئ ، هو أصل الخير كله ، وأن من ملك لسانه فقد ملك أمره وأحكمه وضبطه .

وقال النبى ﷺ : « .. ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » البخارى ومسلم وغيرهما .

وفى الحديث « إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً فى النار » الترمذى .

ويدخل في هذا المعنى : شهادة الزور ، وقول الزور ، والكذب ، والقذف والسب . .

وقد قيل :

رب كلمة جرى بها اللسان

هلك بها الإنسان

جـ- حفظ البصر . .

والمقصود : استعمال البصر فيما أحله الله وكفه عن المحرمات ، وقد أمر الله المؤمنين و المؤمنات أن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم . . لأن النظر الحرام وسيلة إلى الزنا المحرم ، فمن أطلق بصره إلى المحرم فقد أهلك نفسه ، وقد قيل :

كل الحوادث مبداها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

إن الإنسان قد ينظر نظرة خائنة فاحشة لا يشعر بها أحد لكن الله لا تخفى عليه

خافية ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر : ١٩] .

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة فى فضل غض البصر وأنه من الحياء . . راجع : غض البصر للمؤلف .

د ـ حفظ الأذن :

فلا يسمع إلا ما أحله الله . . وينزه سمعه من الكذب والبهتان والغيبة والخوض فى أعراض الناس والأغانى الخليعة والأقوال القبيحة ويستعيذ بالله من قلة الحياء .

وقد وصف الله تعالى أعداءه بأنهم . ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة : ٤٢] أى سماعون للباطل وللأخبار الكاذبة وتحريف الكلام حسب الأهواء . .

وقال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ . . ﴾ [الأنعام : ٦٨] .

٢- حفظ البطن وما حوى :

ومن ذلك حفظ القلب والبطن والفرج .

أ- والقلب أخطر ما في الإنسان وكل الجوارح تبع له فاعمل على حفظه حتى يكون سليما صحيحا من كل داء ، والقلب السليم هو قلب المؤمن الذى يلقى الله به وهو الذى ينفعه في الآخرة ﴿ **يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الشعراء : ٨٨، ٨٩] ، وقد وصف الله تعالى المنافقين بأن ﴿ **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ** ﴾ [البقرة : ١٠] .

ب - حفظ البطن والفرج :

إن الله جعل شهوة البطن لتناول الطعام والغذاء الحلال، وجعل شهوة الفرج للنسل عن طريق الزواج الشرعى . . وقد أحل الطيبات النافعة وحرم الخبائث الضارة . .

قال ﷺ « ما ملأ آدمى وعاء شراً من بطنه ،

بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » احمد والترمذى وغيرهما .

وأما شهوة الفرج ، فقد حرم الله مقدمات الزنا وقال ﷺ : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » احمد والترمذى .

والشباب الفاسد لا يهتم إلا بنفسه وشهواته ولا ينفع نفسه ولا أهله ولا وطنه !

٣ـ تذكر الموت والبلى ..

الموت حقيقة لا مفر منها ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ فهل تذكرت يوما تذوق فيه الموت .. ثم تقف بين يدى ربك : فماذا تقول له !! إن من يتذكر الموت والحساب والعرض وتقرير الإنسان بذنوبه وأخطائه أمام العالم أجمع أوله وآخره .. من يتذكر ذلك لابد أن يستحى أن يلقى الله عز وجل على معصية .

وقال ﷺ : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله » الترمذى : ٢٤٥٩ .

وعن عمر ابن الخطاب قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه فى الدنيا » الترمذى فى التعقيب على الحديث السابق .

٤- ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا :

وقد ورد فى ذم الدنيا والاستعداد ليوم الرحيل آثار كثيرة والمطلوب الاعتدال كما قال تعالى : ﴿ **ابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ** ﴾ [القصص : ٧٧] .

(٣) الاستحياء من الله فى الخلوة :

الاستحياء أصلا من الله يكون فى السر والعلانية ، أمام الناس أو من ورائهم .. لأن

الإنسـان المؤمن يعلم أن الله يراه ويراقبـه .. فهـو إذن يخشاه ويخافه . قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] .

وقال أبو الدرداء : إن من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق .

وقال مجاهد : " هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه ..

وفى الحديث : سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل ، وشاب نشأ بعبادة الله ، ورجل قلبه معلق فى المساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه بما تنفق شماله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » . مسلم : ١٠٣١ والبخارى وغيرها .

فالمؤمن يستحى من الله إن يفعل قبيحاً حتى

ولو غاب عنه الناس . . وكذلك يستحى أن تظهر عورته ولو كان فى خلوة .

قال رجل يا رسول الله : < عوراتنا ما نأتى منها وما نذر؟ > قال : « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك » قال : قلت يا رسول الله < إذا كان القوم بعضهم فى بعض > قال : « إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها » ، قال : قلت يا رسول الله ، إذا كان أحدنا خاليا ، قال : « الله أحق أن يستحيا منه من الناس » أبو داود : ٤٠١٧ والترمذى : ٢٧٦٩ .

ورأى رسول الله ﷺ رجلا يغتسل بالبراز - أى المكان الخالى - بلا إزار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن الله عز وجل حيى ستير يحب الحياء والستر ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر » أبو داود : ٤٠١٢ .

إن الإسلام أمر بالستر ونهى عن التعرى ،

ونحن نرى البعض يستهتر فى ذلك .. ونرى المرأة تكشف عن عوراتها ومفاتنها ولا تبالى .. فأين الحياء !

وقال ﷺ : « ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت » الترمذى .

وإن هناك فئة للأسف .. فى صفوف المؤمنين تقوم الليل كما يقوم المؤمنون .. ويعملون حسنات كالجبال لكن كل هذا لا ينفعهم .. ما السبب ؟ لأنهم يرتكبون محارم الله فى الخلوة ! .

ففى الحديث عن ثوبان عن النبى ﷺ أنه قال : « لأعلمن أقواماً من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة ، بيضاً . فيجعلها الله عز وجل هبءاً منثوراً » قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا جَلّهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم . قال : « أما إنهم إخوانكم ومن

جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون . ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها » ابن ماجه : ٤٢٤٥ .

(٤) حياء الأنبياء من الله عز وجل :

إن الأنبياء هم القدوة فى الأخلاق ، حتى بعث الله رسوله الخاتم ليتمم مكارم الأخلاق .. والحياء من سنن المرسلين وقد أثر الحياء عن الأنبياء وتوارثه الناس ، حتى كان له أثره فى عرب الجاهلية .

الحياء من سنن المرسلين :

عن أبى أيوب أن رسول الله ﷺ قال : « أربع من سنن المرسلين ، الحياء والتعطر والسواك والنكاح » الترمذى : ١٠٨٠ واحمد .

وعن أبى مسعود ، قال النبى ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة : إذا لم تستحى فاصنع ما شئت » البخارى :٣٤٨٤ وغيره .

والشاهد أن الأنبياء جميعاً جاءوا بخلق الحياء وورثه الناس عنهم وتداولوه فيما بينهم .. برغم معاداة الكافرين لأنبيائهم .. فخلق الحياء كان فى شرائع الأنبياء جميعاً ولم ينسخ ، إذ أنه يوافق الفطرة والعقول السليمة .. وقد عرفنا أن الإيمان قرين الحياء والإيمان موجود على مر الزمن وكذلك الحياء ..

وقد عرفنا فيما سبق استحياء آدم من ربه حين وسوس له الشيطان فأغراه بالمعصية فانكشفت عورته ..

وفى الحديث « إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يُرى من جلده شئ استحياء منه ، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل .. » الحديث رواه البخارى وغيره .

(٥) حياء النبى ﷺ :

كان النبى ﷺ حييا شديد الحياء ، ولم لا ؟ وهو الرسول المعلم القدوة الذى قال الله

فيه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ وكان خلقه القرآن . . وقد وردت فى ذلك مرويات نذكر منها :

١- عن أبى سعيد الخدرى قال : « كان النبى ﷺ أشد حياء من العذراء فى خدرها ، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه فى وجهه » البخارى ومسلم .

وخدرها : سترها ، والعذراء فى الخلوة يشتد حياؤها أكثرمما تكون خارجة عنه ، لكون الخلوة مظنة وقوع الفعل بها . . أى أن حياءه ﷺ كان أشد من حياء البكر الفطرى حتى وهى فى سترها وكيف لا ، وهو أتقى الناس وأعلمهم بالله وأخشاهم له . .

قال النووى : ومعنى « عرفنا الكراهة فى وجهه » أى لايتكلم به لحيائه ، بل يتغير وجهه ، فيفهم أصحابه كراهته . . النووى بتصرف .

وفى حادثه أخرى يقول الراوى « .. فرأيت وجه رسول الله ﷺ يتغير حمرة حياء .. » أبو داود : ٣٠٦٧ .

ومناسبة نزول الآية : ﴿ **فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ..** ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

أن النبى ﷺ دعا أصحابه إلى وليمة بمناسبة زواجه ﷺ من زينب وبعد أن انصرف الناس ، بقى ثلاثة نفر ، قد استرسلوا فى الحديث ونسوا أنفسهم حتى شق ذلك على النبى ﷺ وبرغم أن ذلكم كان يؤذى النبى ﷺ ، إلا أنه ﷺ لم يتكلم ولم يظهر غضبه حياء منه ﷺ . يقول الراوى : « .. وكان النبى ﷺ شديد الحياء .. » البخارى : ٤٧٩٣ .

وعن سهل بن سعيد قال : « كان رسول

الله ﷺ حيياً لا يُسأل شيئا إلا أعطاه » الدارمي : ١٧ .

(٦) الاستحياء من الملائكة ..

إن الملائكة معنا لا تفارقنا .. تسجل كل كبيرة وصغيرة .. فاحذر أن تراك على قبيح .

ففي الحديث : « إياكم والتعرى فإن معكم من لا يفارقونكم إلا عند الغائط وحين يُفضى الرجل إلى أهله ، فاستحيوهم وأكرموهم » الترمذى : ٢٨٠٠ .

وروى أن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط - كساء من صوف أو كتان - وفى رواية : « كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه » فأذن لأبى بكر وهو كذلك ..ثم استأذن عمر فأذن له وهوعلى تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ ولبس ثيابه..فقالت عائشة ، يا رسول الله ، مالى لم أرك فزعت لأبى بكر وعمر

كما فزعت لعثمان ؟ قال رسول الله ﷺ : « إن عثمان رجل حيىٌ وإنى خشيت إن أذنت له على تلك الحال ، أن لا يبلغ إلى حاجته » مسلم فى فضائل الصحابة .

وفى رواية « ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة » مسلم وأحمد .

(٧) الاستحياء من الناس :

إن الإنسان ليستحى أن يعمل القبيح أمام الرجل الصالح أو ذى الهيبة . . قال النبى ﷺ : « استحى من الله كما تستحى من رجل صالح من عشيرتك » الجامع الصغير .

وفى الأثر : ‹ استحى من الله كما تستحى من أولى الهيبة فى قومك › .

وفى أثر أخر : ‹ لا خير فيمن لا يستحى من الناس › . وقد سبق أن النبى ﷺ استحى من عثمان رضي الله عنه .

(٨) حياء المنافقين من الناس :

ما سبق ذكره من حياء الناس من الملائكة والصالحين والناس هو فى الأصل حياء من الله عز وجل أما الحياء الذى يكون مجردا من خشية الله تعالى فهو حياء غير شرعى .

والمنافقون لا يستحيون من الله ، إنما يظهرون الأدب ويخفون القبيح استحياء من الناس فقط ولذلك يقول تعالى فى شأنهم ﴿ **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ** ﴾ [النساء : ١٠٨] .

وهذا إنكار من الله تعالى على المنافقين أنهم يستخفون بقبائحهم من الناس لئلا ينكر الناس عليهم ، مع أن الله مطلع على سرائرهم وعالم بما فى ضمائرهم .

ويستخفون : أى يستترون من الناس حياء وخوفا منهم ولا يستحيون من الله . .

قـال القـرطبى : وهذا الاسـتـحـيـاء سـبب الاستتار .

وفى الحـديث : « الله أحق أن يسـتـحى منه من الناس » .

***

الباب الثالث

الحياء فى أخلاق الناس

(١) الحياء خلق الإسلام :

يتميز الإسلام بالأخلاق الفاضلة وأهمها خلق الحياء .

ففى الحديث « إن لكل دين خلقاً وخلق الإسلام الحياء » ابن ماجه ومالك .

فهناك ارتباط بين الإخلاق والدين ولا تصلح النفس الإنسانية إلا بأخلاق تنطلق من عقيدة صحيحة ، والحياء قرين الإيمان ولا تسكن النفس ولا يتحقق لها الاستقرار إلا بذاك . وقد شهدنا أن الحياء كان خلق الأنبياء جميعا . فمن ابتغى الحياء دون سند من عقيدة ودون ضوابط شرعية فقد ضل ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ** ﴾ [القصص : ٥٠] .

(٢) الحياء زينة الإنسان المؤمن :

الحياء يزين الإنسان ويحفظه من ارتكاب ما يشينه من الفواحش والبذاءات ، كما أن صاحب الحياء فى الجنة ومرتكب الفواحش فى النار ..

ففى الحديث : « ما كان الفحش فى شئ إلا شانه وما كان الحياء فى شئ إلا زانه » . الترمذى : ١٩٧٤ وابن ماجه وأحمد .

وفى رواية « . . . ولم يكن النبى ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً » الترمذى : ١٩٧٥ .

وقال النبى ﷺ : « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذئ » الترمذى : ١٩٧٧ .

وقال النبى ﷺ : « الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار » أحمد : ١٠٤٦٠ والترمذى : ٢٠٠٩ وغيرهما .

(٣) الحياء فى حياة المؤمن :

إن الحياء فى حياة المؤمن خير كله ، فهو رجل

صالح صادق أمين فى معاملاته يقول الحق ولا يشهد الزور ويؤدى الأمانة ولا يكذب ولا يخوض فى أعراض الناس . .ولا يخلف الميعاد ولا يتصف بنفاق ولا يفر من الميدان . . وإذا أذنب استغفر وأناب ، وإذا ابتلى صبر ، وإذا أعطى شكر ، وإذا سئل أعطى عن سخاء .

وخلاصة القول : أن المؤمن صاحب الحياء يلتزم بالنصوص الشرعية والآداب الإنسانية فى سلوكياته ومعاملاته ، يخشى الله ويتورع عن فعل الفواحش . .

(٤) حياء المرأة المؤمنة :

إن الحياء فى الإسلام مطلوب من المرأة والرجل والخطاب الشرعى موجه إليهما لكن الحياء موجود فى المرأة أشد من الرجل وخاصة البكر ، فإن حياءها أشد ولأن الفطرة فى المرأة أن تحافظ على عورتها وتستحى من أشياء كثيرة عن

الرجل .

هذا فى الفطرة أما ما نراه من قلة الحياء فى سلوك بعض الفتيات والنساء بإظهار المفاتن .. وما يصدر عن المرأة من ميوعه وخلاعة فى مشيتها وحركاتها وكلامها فهو من تأثير خارجي ليس من الفطرة .. والحياء الفطرى يدعمه الإسلام وينميه ويصقله ..وقد وردت النصوص فى حياء المرأة نذكر منها ..

١ـ في قصة موسي عليه السلام قال تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ [القصص : ٢٥] ، إنها جاءت تدعو موسى ليقابل أباها ليجزيه أجر السقاية وأن موسى قد قام بأعمال ظهرت فيها شهامته وأمانته وقوته .. والقرآن يصف كيف كانت تمشى الفتاة التى تربت فى أسرة طاهرة تخشى الله عز وجل .. وكيف كان حياؤها ؟ ﴿ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾

إنها مشية الفتاة الطاهرة العفيفة الفاضلة النظيفة حين تلقى الرجال ﴿ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ فى غير ما تبذل ولا تبرج ولا تبجح ولا إغواء .

وكيف كان كلامها ؟ إنها تدعوه في أقصر لفظ وأخصره وأدله ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ وهنا يظهر الحياء ..فمع الحياء الإبانة والدقة والوضوح ، لا التلجلج ولا التعثر ولا الربكة .. وذلك من إيحاء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة ..فالفتاة القويمة تستحى بفطرتها عند لقاء الرجال والحديث معهم ، ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب ، الاضطراب الذى يطمع ويغرى ويهيج إنما تتحدث بوضوح ، بالقدر المطلوب ، ولا تزيد .. عن عمر ابن الخطاب قال : جاءت مستترة قد وضعت كمّ درعها على وجهها ..

وفى رواية : جاءت تمشى على استحياء قائلة

بثوبها على وجهها ليست بسلفع . . والسلفع من الرجال : الجسور ، ومن النساء : الجريئة السليطة .

٢ـ وفى الحديث عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا يا رسول الله كيف إذنها قال : أن تسكت » رواه البخارى : ٥١٣٦ وغيره .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن البكر لتستحى ، قال : رضاها صماتها » البخارى .

فهناك فرق بين الثيب و البكر ، فالثيب لابد من أمرها . . فيحتاج إلى إذنها الصريح فى العقد ، والبكر بخلاف ذلك فقد جعل السكوت إذناً لأنها تستحى أن تفصح .

٣ـ عن عطاء ابن أبى رباح قال : قال لى ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت بلى : قال : هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ فقالت : إنى أصرع وإنى اتكشف ، فادع الله

لى . قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوة الله أن يعافيك . فقالت : أصبر فقالت : أنى أتكشف ، فادع الله لى أن لا أتكشف ، فدعا لها » البخارى : ٥٦٥٢ ومسلم : ٢٥٧٦ .

فالمرأة رضيت أن تصرع ولم ترض أن تظهر عورتها دون أن تشعر ! فهذا لا شك من حيائها .. وهى بعد من أهل الجنة ..

(٥) إذا لم تستحى فاصنع ما شئت :

هذا جزء من حديث سبق ذكره ، وفى تفسيره ما يأتى :

الأول : أن الإنسان إذا لم يستحى فليصنع ما يشاء ، فإن الحياء هو المانع من الفعل القبيح ، فمن فقد الحياء صنع كل منكر وكل خبيث .. والأمر فى الحديث للتهديد والوعيد .. على معنى : فاعمل ما شئت فالله يجازيك عليه ، كما فى قوله تعالى ﴿ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا**

تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت: ٤٠] وكقوله تعالى .. ﴿ **فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ** ﴾ [الزمر: ١٥].

الثانى : أنه أمر بفعل ما يشاء على ظاهر أمره

والمعنى : أنه إذا كان الفعل لا يعتبر قبيحاً ، ولا يستحى منه لا من الله ولا من الناس لكونه من أفعال الطاعات أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة ، فاصنع منه حينئذ ما شئت ولا تبالى بالناس .. انظر جامع العلوم والحكم .

قال ابن القيم : وفى الحديث قولان :

أحدهما : أنه أمر تهديد ومعناه الخبر : أى من لم يستحى صنع شاء .

الثانى : أنه أمر إباحة أى انظر إلى الفعل الذى تريد أن تفعله ، فإن كان مما لا يستحى منه فافعله .. والأول أصح وهو قول الأكثرين .. مختصر مدارج السالكين للمؤلف .

والحياء خلق يمنع القبيح .. ويحمى الأمة

من الانهيار الخلقى . . والتردى فى الفحشاء . . وإذا انعدم الحياء كان الدمار والهلاك للفرد والمجتمع . .

قال الشاعر :

إذا لم تصن عِرْضاً ولم تخش خالقاً
وتستحى مخلوقاً فما شئت فاصنع

وقال آخر :

ورب قبيحة ما حال بينى
و بين ركوبهـــا إلا الحيـاء
إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً
تقلب فى الأمور كيف يشاء

وقال آخر :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإذا هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

والتردى فى القبيح يؤدى إلى قبيح أكبر . . ثم ينتهى إلى إنسان نزع منه الحياء . . لا خير

فيه . . كالحيوان . . لاحياء ولا دين . .

ففي الحديث : « إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء ، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً فإذا لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً ، نزعت منه الأمانة ، فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائناً مخوّناً ، فإذا لم تلقه إلا خائناً مخوناً ، نزعت منه الرحمة فإذا نزعت منه الرحمة ، لم تلقه إلا رجيماً ملعّناً فإذا لم تلقه إلا رجيماً ملعناً نزعت منه ربقة الإسلام » . ابن ماجه : ٤٠٥٤ .

إن الحياء إذا نزع من الفرد ثم الأمة ، كان الدمار والهلاك وقد حكى لنا القرآن العظيم قصة قوم لوط لما فجروا وأعلنوا فجورهم أهلكهم الله بسبب أفعالهم الخبيثة .

إن الأمم تنهار أخلاقيا قبل أن تنهار ماديا . . وقد قالوا عن فرنسا بعد الحرب : هزمها الانحلال قبل الاحتلال .

ومن أسباب الدمار أن هناك فئة مترفة من أهل النفاق ، تظهر بالانتماء إلى العروبة و الإسلام فى الظاهر .. لكن من داخلهم تستولى عليهم الأفكار الأجنبية ..قد تأثروا بزيف الحضارة الغربية وزخرفها وانبهروا بها .. وتركوا دينهم وأخلاقهم الأصيلة .. لا يتبعون أهل العلم ولا يستحيون من أهل الحلم ..

وفى هذا يقول النبى ﷺ « اللهم لا يدركنى زمان ولا تدركوا زماناً لايتبع فيه العليم ولا يستحى فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب » أحمد : ٢٢٧٧٧ .

(٦) صور من فقدان الحياء :

من يترك عن الحياء تجده إنساناً سئ الخلق فى معاملاته وحياته مع نفسه ومع الناس .

فإذا كان تاجراً فلا يستحى من جمع المال بأى طريق كان .. بالغش والخداع والحيلة .. والحلف

الكاذب .. لا يتورع ولا يستحى أن يحكر السلعة وإن كان الناس فى حاجة إليها .

وإن كان قاضياً لا يحكم بالعدل .. ويأخذ الرشوة ناراً يتأبطها يوم القيامة .. لا يستحى أن يحكم بالحق الظاهر.. وهكذا تضيع حقوق المظلومين .

وإن كان محامياً يقبل قضية خاسرة ويدافع عن الباطل ويرتشى من الخصم .. فلا يحضر الجلسات ..ويفوت على صاحب الحق حقه .

وإن كان شابا لا يستحى أن يخالط الفتيات.. ويخالط رفقاء السوء ويتعاطى المخدر .. وقد ينتهى به إلى الانتحار .. وهو على استعداد أن يبيع أمه وأباه و أهله ووطنه فى مقابل شهوة ... وهكذا .

وإذا كانت فتاة فلا تستحى أن ترتدى الثياب الفاضحة الكاشفة عن عوراتها وأن تمشى مشية

خليعة ، لكى تلفت الأنظار .. وتفتن الشباب ولا تستحى إن تخالط أصدقاء السوء .. ولا تحافظ على شخصيتها وكرامتها التى أرادها الله لها .. وأصبحت المدارس والجامعات وسيلة للاختلاط الفاسد ..

وإذا كان رجل سياسة ، فإنه لا يستحى أن يكذب أو يموه أو يطمس الحقائق .. وأن ينقض المعاهدا ت مع الدول الصغرى طمعاً في رضاء الدول الكبرى ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ** ﴾ [النحل : ٩٢] .وقل ما شئت بالنسبة لموظفى الدولة .. إلامن رحم ..

ومع ذلك كله فما زالت فئه من كل طائفة تحافظ على إيمانها وحيائها وتستحى من القبائح .. ولا تجارى المنحرفين .

(٧) الدعوة إلى الحياء ..

لابد لمن يدعو إلى الإيمان والحياء .. أن يصلح نفسه أولاً .. بأن يتقى الله ويتمسك بمكارم الأخلاق .. وأن يكون فى صحبة الصالحين بعيداً عن رفقاء السوء .. وأن ينكر بقلبه ويظهر عدم الرضا عن مرتكب القبيح .. وأن يدعو بالحكمةوالموعظة الحسنة .

وعلى المسئولين أن يتقوا الله فيأمروا الناس بالمعروف وينهوهم عن المنكر ..لأن إعلان المنكرات بلا حياء وباء ودمار وهلاك كما رأينا فإذا فعلوا ذلك نجوا ونجا الناس جميعا وإلا هلكوا جميعا .

ففى الحديث : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من

فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » البخارى : ٢٤٩٣ . وقال رسول الله ﷺ : « إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة » أحمد : ١٧٦٥ .

وبعد ، فإن مكارم الأخلاق وخاصة الحياء والدعوة إليه ، هى مسئولية كل فرد فى المجتمع والأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام وسياسات الدولة بأجهزتها المختلفة .

ونسأل الله تعالى التوفيق والرشاد لهذه الأمة وأن تعود كما كانت أمة واحده لا تعبد ولا تخشى إلا الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الموضوع ** الفهرس ** الصفحة

المقدمة ٣

الباب الأول

مفاهيم حول الحياء

١ـ الحياء والخجل ٥

٢ـ الفرق بين الحياء والخجل ٩

٣ـ الحياء نوعان ١٠

٤ـ الحياء والإيمان ١٢

٥ـ الحياء والورع ١٤

٦ـ الحياء والمروءة ١٦

٧ـ الحياء والوقار ١٨

٨ـ الله حيي يحب الحياء ١٩

٩ـ الله لا يستحيي من الحق ٢١

الباب الثاني

الاستحياء من الله

١ـ لماذا الاستحياء من الله ٢٥

الموضوع ** تابع الفهرس **	الصفحة

٢- الاستحياء من الله حق الحياء ٢٧
٣- الاستحياء من الله فى الخلوة ٣٥
٤- حياء الأنبياء من الله عز وجل ٣٩
٥- حياء النبى ﷺ ٤٠
٦- الاستحياء من الملائكة ٤٣
٧- الاستحياء من الناس ٤٤
٨- حياء المنافقين من الناس ٤٥

الباب الثالث

الحياء فى أخلاق الناس

١- الحياء خلق الإسلام ٤٧
٢- الحياء زينة الإنسان ٤٨
٣- الحياء فى حياة المؤمن ٤٨
٤- حياء المرأة المؤمنة ٤٩
٥- إذا لم تستحى فاصنع ما شئت ٥٣
٦- صور من فقدان الحياء ٥٧
٧- الدعوة إلى الحياء ٦٠

كتب للمؤلف

١- مختصر مدارج السالكين .	دار الدعـــوة
٢- منهج القرآن في التثبت من الأخبار .	دار الدعـــوة
٣- البذل والتضحية في سبيل الله .	دار الدعـــوة
٤- الشفاعة .	دار الدعـــوة
٥- الابتلاء رحمة أو عذاب .	دار ابن لقمان
٦- آداب غض البصر .	دار المـــدائـــن
٧- آداب الاستئذان .	دار المـــدائـــن
٨ - بر الوالدين والأقارب جزءان .	دار المـــدائـــن
٩- مختصر الابتلاء رحمة أو عذاب .	دار المـــدائـــن
١٠- الاختلاط بين الطلبة والطالبات .	دار المـــدائـــن
١١- الصبر والثبات على الطريق .	دار المـــدائـــن
١٢- الحياء من مكارم الأخلاق .	دار المـــدائـــن

* * *